الشبكة

كلام عن عمر .. مع صوت مصر

محمد قابيل

زمان . كانت أغنياتها تعبيرا صادقا عن حب بنت مصرية دلوعة مكسوفة دائما . وتفرغت للسينما فقدمت أشكالا مختلفة لما تعانيه بنات جنسها في واقعنا المصرى . وعادت تملأ الدنيا غناء هو صلاة في محراب «أم الصابرين» فقالوا إنها صورة مصر . وقالت هي : لا .. بل هو صوت من مصر أو صوت بنت مصرية . أما صوت مصر .. فهو كثير !

سألتها عن أسرارها الخاصة التي لا تعلق بها كفنانة مبدعة رقيقة وصاحبة تاريخ فني يتفق عليه المختلفون ، إنما كمواطنة مصرية صالحة عندما شربت من ماء النيل أحست أنه من الجنة . ولما ذاقت طعم «الخبز» فضلته على القمح الأمريكاني . وأسعدتها مرجيحة عم صابر الاشتراكى أكثر مما سعدت بملاهي فيينا أشهر ملاهي العالم . وحتى لما كبرت وأصبحت فنانة تملأ الدنيا تمثيلا وغناء .. كان كل ما فيه انعكاسا واضحا لحب مصر حبيبتي وحبيبتها وحبيبتنا كلنا

في ريف مصر وبالذات في أنشاص نشأت شادية طفلة صغيرة اسمها «فاطمة أحمد كمال شاكر» والدها مهندس زراعى كبير . ودائما جوال في بلاد الله . وفي كل بلد يعيش مع الفراشى في مزرعة تضم مسكنا صغيرا له وللعائلة . وكانت الحقول تسابقت أسواره حرير وحوله حديقة مليئة بأشجار الفواكه . كانت تعيش معه كل أسرته الصغيرة المكونة من ماما والأولاد عفاف وسعاد ومحمد طاهر وفاطمة

وكبرت فاطمة ، أصبحت تتأمل معى الأغانى التي تميل لسماعها من جهاز الراديو . وعندما تنفرد بنفسها تمسك بيد لحمة بعيدة متطوله تحت حديقة تغني أغنيات ليلى مراد . وإذا أسعدها الحظ برؤية أحد أفلامها كانت تقفل على نفسها الحجرة وتقوم بالغناء والرقص الانفرادى أمام المرآة

في إحدى المرات اكتشف والدها المهندس كمال شاكر هذه اللعبة التي تمارسها فاطمة من ورائه . لكنه لم «يطخها» بالرصاص . ولم يطردها من البيت أو يقل لها : سأحرمك من الدوات . فقد كان محبا للفن هو الآخر . وله صوت جميل يغني به ألحان محمد القبانى . عبد الوهاب . الشيخ أحمد ابنه عودا صغيرا تعزف عليه وتصاحبه أحد أقاربنا بالغناء . كان يفخر بصوتها أمام ضيوفه من الموظفين الكبار . وأكثر من ذلك فقد أحضر لها مدرسا يعلمها العزف على العود . وأخر لتحفظ منه الموشحات القديمة التي تصقل صوتها

وفي القاهرة كبرت فاطمة أكثر وأكثر . وتطورت علاقاتها من العائلة إلى أصدقاء والدها إلى التعرف ببعض من لهم صلة في استوديو مصر . الذى يعتبر مصنع فن السينما في ذلك الوقت ولأنها قد كبرت وتستطيع أن تعي الأشياء وتفهم المواقف . أتركها الآن لتحكى قصتها مع الفن ، بقول شادية :

أول من اكتشفني هو الفنان أحمد بدرخان

لكن أول من قدمني للسينما هو حلمي رفلة . وكانا صديقين . قال حلمي لبدرخان : دعها لي أشهرها لك . حتى تنتهي أنت من إعداد الفيلم الجديد لها . وفعلا ... مثلت أول أفلامي وكان اسمه «حمامة السلام» من إنتاج حلمي رفلة

بعدها التقيت بالفنان المرحوم محمد فوزى في فيلم «العقل في إجازة» الذى غنيت فيه معه دويتو «متشكرين .. متشكر ليه» ولحج أيامها وكنت أذهب إلى دار سينما رويال في عابدين مكان مسرح الجمهورية الآن . لأسمع تصفيق الناس لهذا الدويتو يوميا . ثم قدم لي فوزى ألحان البنت الشقية المرافقة . ونجحت كثيرا . أذكر الآن من هذه الأغاني «كتر الخطاب على الباب يا أبا» و«أنا بنت حلوة ومهرى غالى» . لقد مثلت مع محمد فوزى أفلام «الروح والجسد» و«أصحاب الملايين» وفيلما ثالثا لا أذكر اسمه

وبدأت تنهال على العروض في السينما . فقمت بالتمثيل في ٤ أفلام في وقت واحد . وكان والدى يتناوب مع والدتى رعايتي . فيمدانى بالملابس والماكولات والمشروبات اللازمة لكي تمكننا من الهجوم ... البعض ليقولوا إنها بحرستانى !

■ قلت : ومن أين جاء اسم شادية ؟

قالت : كما جرى في اختيار اسمى . وكانت الأسماء المعروفة في عالم الفن أيامها «نور الهدى» و«صباح» . وكان الرأى قد استقر على تسميتي «هدى» . وتعاقدت فعلا مع حلمي رفلة بهذا الاسم في أول أفلامي . ولكن بالصدفة كنت مع والدى في زيارة لصديقة لها . وكانت هذه الصديقة قد وضعت طفلة جميلة أحببتها واسمها «شادية» .. ولما أحست الصديقة بهذا الحب قالت ولماذا لا تسمين نفسك شادية . فكرت وأعجبنى الاسم وأعجب والدى والدتى . ونجحت في أن أقنع حلمي رفلة بعد أن نشر إعلانا صغيرا عن فيلمه بأنني القادمة «هدى» !

■ قلت : هل يمكن أن نطلق على المرحلة الأولى في حياتك الفنية مرحلة «الشقاوة» في التمثيل والغناء ؟

وما هو دور الملحن فيها ؟

قالت : كانت البداية مع محمد فوزى . علمنى كيف أنطق الكلمات . وله يرجع الفضل في تقديمى في لون جديد يتميز بالطرب مع خفة الدم . وربما لو بدأت بألحان غيره لكنت لم أتميز عن غيرى . أما محمود الشريف فقد قدم لي ألحانا مصرية تشعر فيها بروح بنت البلد وتتذوق فيها طعم ماء النيل وتشم رائحة الأرض . ومنير مراد قدم لي ألحان الشقاوة وخفة الدم . أما أحمد صدقى فقدم لي الألحان المصرية التي تعرفت عليه

سماعها بأنك في الفكة وخفة الدم

■ قلت : في «البنت الدلوعة» قدمت فيه كثيرات . من هي ؟

قالت : إذا كنت تقصد ليلى حلمى وعايدة الشاعر فأنا لم أغن الكلمات التى غنيناها . وكذلك فأنا لم أغن في الأفراح طول عمرى إلا مؤخرا . وكنت أحب صوت ليلى جمال وأبحث عنها الآن فلا أجدها ... خسارة . ويعجبنى صوت المطربة السكندرية صبحى . فعندما استمعت إليها في إحدى الحفلات التى غنيت فيها شعرت أن صوتها من بلدى . وأن أعرفها من قبل وتعيش كأنى أسير في حارة مصرية أصيلة . لقد ثلث صوتها الباقى

■ قلت : حاولت التخلص من «دلع البنات» ابتداء من أغنية «ليالى العمر معدودة» ولكن قبل أن تودعى الشقاوة غاب صوتك عنا ٤ سنوات .. لماذا ؟

قالت : كنت قد مللت من تمثيل أدوار الحب العاطفية في السينما المصرية بعد أن مثلت أكثر من ١٢٠ فيلما . وفكرت في التخلص منها بعدم تمثيل الأدوار العاطفية التي غالبا ما تكون مكررة الفكرة . وبدأت في تنفيذ ذلك تدريجيا فمثلت «وداع في الفجر» إنتاج وبطولة كمال الشناوى . انخفضت فيه نسبة الغناء بشكل واضح . ثم مثلت فيلم «ليلة من عمرى» إنتاج وبطولة عماد حمدى . فاختفى الغناء أكثر . حتى جاءتنى الفرصة لتمثيل رائعة نجيب محفوظ «اللص والكلاب» فانقطعت علاقتى بالغناء السينمائى . هذه الفترة . لكنى قدمت أكثر من أغنية من محطات الإذاعة أيامها

ولأنى أحب أدب نجيب محفوظ . وأعيش مع أبطال قصصه في الشرية والحارة . مثلت من تأليفه «ميرامار» ثم مثلت قصة «الطريق» وأقل من حيالى . ومرت مدة عام . وشىء من الخوف . وكلها أفلام لم أغن فيها ولا أغنية كما فعلت في فيلم «المرأة المجهولة» الذى قدمت فيه أغنية واحدة هى «سيد الحبايب يا ضنايا أنت»

■ قلت : قضية الغناء السينمائى .

ما الفرق بينك وبين ليلى مراد وبين نجاة ؟

قالت : أفلام ليلى مراد بالأمس كانت أحلى أفلام أيامها ، ولم يكن ينافسها أحد . وكانت تشارك في التمثيل والغناء معاً . لكني انفردت بهذه «الفترة» ثم احترفت غنيا في التمثيل دون الغناء . أما نجاة فهي فنانة حلوة أعجبت بتمثيلها منذ رأيتها في مسلسل «الدوامة» وهي أكثر من يصلح لتقديم «استعراضات» فهي تتمتع بخفة دم ورشاقة وقدرة على التمثيل . ولو كانت في «برودواي» أمريكا لأصبحت نجمة النجوم في عالم الاستعراض . وأتمنى أن أشاهد لها أعمالاً كثيرة في شهر رمضان كما شاهدتها في رمضان الماضي

■ قلت : من أكثر فناني الشاشة قرباً إليك ؟

قالت : كمال الشناوي . كنا ثنائيين مع بعض . أحببت أنا فيه وأحب هو فيَّ . اختلفت أخلاقي مع أخلاقه . تلاقينا وفرحني مع الإشاعات . مع إنه كان في هذه الفترة زوجاً لأحلى الفنانة المسرحية عفاف شاكر التي تعيش في أمريكا الآن .

ومن فناني الشاشة الذين أحببت العمل معهم أيضاً شكري سرحان .

■ قلت : لماذا كنت قليلة التعامل مع كبار فنانينا .. القصبجي والسنباطي وعبد الوهاب ؟

قالت : غنيت لعبد القصبجي في فيلم «حمامة السلام» استعراض «احنا بتوع الفن» . وقدمت للسنباطي أغنية «أحب الوشوشة» في فيلم «ليلة من عمري» ورفضت الإذاعة كلماتها . ثم غنيت من ألحانه في فيلم «حظك هذا الأسبوع» . أما عبد الوهاب فقد غنيت له «أحلف» في فيلم «الحلوة بالذوق» ثم «سومة» في فيلم «وادي الذكريات» وكانت ملحنة للفيلم «زقاق المدق» من أكثر من ١٥ سنة وكان عبد الوهاب قد لحن لي أغنية رمضانية تقول كلماتها «لا يا صوما صاحبا في رمضان .. لا لقاية ولا حق كلام» ورفضتها الإذاعة أيضاً .

وأريد أن أقول إنني لا أكلف الملحن . ولكن أتعامل معهم دائماً من خلال المنتج .

كانت بدايتي في سن المراهقة مثل وعلى الشدة الثقيلة الرقيقة ولم تبعد عن روح بنت مصر البسيطة خفيفة الدم . ولما كبرت وعرفت التمثيل بحث في مصريات تحب مطربة وغيره من كبار كتابنا . ثم عادت بعد غيبة لتغني . فكانت أكثر مصرية في الأداء وفي الكلمات والألحان . غنت «يا بائع الفول» و«فولوه لعين الشمس» و«على شط النيل» و«قالوا الوداع» . ثم كانت نكسة مصر ثم الانتصار في أكتوبر فكانت أغانيها سجل لتاريخه في «يا حبيبتي يا مصر» و«بلد الصابرين» و«الأولة مصر» و«رائحة الحبايب بالعروسة» و«أقوى من الزمان» و«شحت حوالي من السويس» .

وكان من الواضح أن شادية ما حدث جعلها أكثر نضجاً . واقتربت بها من القلوب أكثر وأكثر . فوضعت مصر في عينها وفي كل ماتغني .

■ قلت : ماذا تعني عندك كلمة مصر ؟

قالت : كل شيء في الدنيا . وأحلى حاجة فيها . سافرت كثيراً . وفي كل مرة كانت أحب قلم أحد مثل أخلاق المصريين ولا طيبة قلوبهم . وحتى من ينحرف منهم تكون وراءه ظروف أقوى منه . ومن يهاجر منهم تفر دموعه لسماع اسمها في الغربة .

■ قلت : يقولون إنك «صوت مصر» ؟

قالت : هذه حكاية صنعها جمهور الحفلات . وأنا دائمة الاعتراض عليها . فأنا يمكن أن أكون صوتاً مصرياً أو بنت «مصر» أما «صوت مصر» فهذا كثير عليّ .

■ قلت : ولماذا أطلقوه عليك بالذات ؟

قالت : ربما لأنني عندما أغني لمصر أغني بعشق . وأؤمن أن المارشات العسكرية لها ظروف «لله لا يجيدها» . أما الغناء العادي فيه الغزل وأغني من قلبي .

مثلاً في أغنية «يا حبيبتي يا مصر» كنت أشعر بأني أصلي في محراب مصر . وخاصة في المقطع الذي يقول : «ولا شاف النيل في أحضان الشجر» ولهذا الموقف قصة . فأنا أسكن في مواجهة النيل . ويوجد على الشاطئ أمامي شجرة منحنية على مياهه . أحبها وأمشي كثيراً أمامها . فأنا أحبها الشجرة بأعين وأناجيها عندما أكون على سفر . هذه الشجرة ألهمتها عندما أغني هذا المقطع الذي كتبه محمد حمزة دون أن يدري بحكاية الشجرة «بأعين» رغم أن الأغنية كتبها حمزة ولحنها بليغ حمدي في منزلي في ٢٤ ساعة فقط

وبهذه المناسبة فإن أغنية «يا حبيبتي يا مصر» كانت مختلفة عما سبقها من غناء وطني عاطفي . فقد أعادت لنا اسم مصر بعد غيبة طويلة كانت مصر فيها تسمى «الجمهورية العربية المتحدة» وكان هذا الاسم الغالي قد وحشني جداً جداً . فهو بالنسبة لي موسيقى تهز وجداني

■ قلت : هل قدمت شيئاً لمصر غير الفن ؟

قالت : أحبها عيالي . فهي أمي وأبي وأرضي التي خرجت منها وإليها أعود . وما حدث يوماً ما .. إنما حدث مني بلا وعي ولا شعور . وليس من الضروري أن يقال دائماً . لكن بصفة عامة لا أستطيع أحد أن يسيء إلى مصر أمامي في الخارج .

■ قلت : وأم كلثوم ؟!

قالت : كنت وما زلت - أحبها بشدة . وكان لي معها لقاء تليفوني يومياً في تمام الساعة الثامنة عشرة ظهراً . حتى لو رحلت كنت في موعدها أجري على التليفون ثم يغمى علي . لقد تعب المتصارعون على مكانتها . أما أنا فصعيدة بحول . ولم أشاركهم الصراع . وهل كانوا هم في انتظار رحيلها ليعلوا . إنها لم تمنع أحداً . وكانت تظهر علينا كالقمر مرة واحدة كل شهر . رحمها الله . كانت محامية لي . وكنت مطمئنة لكل في وجودها

■ قلت : وما رأيك في حال الغناء بعد رحيلها هي وفريد وعبد الحليم ؟

قالت : يجب أن يعود إلى مصريته . لابد أن يعود لأحاسيسه الأصيلة عندما كنا نميز المصري من ملابسه وطول شعره وملامحه . ويجب ألا نجري وراء «موضات» الملابس والشعر وغيره .

الآن عندنا صوت محمد قنديل لا أحد يمكن إنكار قدراته وعمق تأثيره

وكنت أحب صوت محرم فؤاد في فيلم «حسن ونعيمة» وليته ظل على هذا اللون . وأحمد السنباطي أتوقع له مستقبلاً أكثر نجاحاً . فهو موهبة ممتازة وألحانه تتصف بالعمق . لذلك فسيزيد الزمن من لمعانها وثباته معها .

أما ياسمين الخيام فأرجو أن تغني مايناسبها من ألوان . وأعتقد أن هذه الألوان يجب أن تكون الأعمال الدينية والتراتيل .

ومن الأصوات الجديدة يبرز أحمد الكحلاوي عندما سمعته في التليفزيون . واتصلت به لأسمعه وأشركه في حفلتي معي . وكذلك أعجبني صوت سوزان عطية . وطلبت من علي الشريعي أن يلحن لها .

إن الأصوات الجديدة الممتازة موجودة بكثرة في الإسكندرية . فيمكن أن نسمع فيها أصواتاً لها شخصيات مختلفة . والعجيب لماذا لا تهتم بها إذاعات القاهرة وخاصة أنهم يشكون سوء الإمكانيات التسجيلية . وكنت قد اتفقت مع إذاعة الإسكندرية على أن أذهب إليهم وأسجل أغنيات مجاناً بمؤلف وملحن وعازفين واستوديو إسكندراني . لكنهم عادوا ليقولوا إن استوديوهاتهم لاتصلح !

■ قلت : بمناسبة الجديد . يقولون إنك تغامرين بالتعامل مع شباب المؤلفين والملحنين !

قالت : وليكن فأنا لا أستطيع أن أجد موهبة مصرية في بلدي ولا أرعاها . ولو استمعت إلى نغمة أو كلمة جميلة من أية موهبة فسأقدمها فوراً . وفي ذلك فائدة له ولي أيضاً

■ قلت : يقولون إنك تتعاملين ذلك لأسباب اقتصادية ؟

قالت : أبداً . بدليل أنني لم أوقع في حياتي لأي فنان شيكاً واحداً . والذي يدفع هو المنتج سواء في السينما أو الكاسيت

قلت : وما رأيك الآن فيمن قدمتهم من هؤلاء الشباب ؟

قالت : للأسف بعضهم يتقدم لحناً لامعاً . بطابع كثير فتتعامل بالجري . فالأسبوع لا أنا يشبع .

■ قلت : معنى ذلك أنك ستتوقفين عن التعامل مع الجديد ؟

قالت : أبداً . وسأظل من أنصار كل شروق . وأعتقد أن مايتجدد محاولة للوصول إلى أغنية جديدة

■ قلت : ولماذا لم تفعلي نفس الشيء بالنسبة للأصوات ؟

قالت : فعلت فعلاً . وقد ساعدت عادل شاكر وأشركته معي في حفلة . ولم تكن عنده غير أغنية «حلوة بلدنا» السويس . فتنازلت له عن حقي . كنا نرقصه بالمرحلة . وهو فنان بسيط وشعبي توقعت أن ينجح به . ونجح .

■ قلت : منذ فترة طويلة وأنت تغنين بمصاحبة فرقة موسيقية خاصة . لماذا ؟

قالت : كنت أغني مع الفرقة الماسية . وعندما كثرت حفلات أضواء المدينة في الستينات لم أتمكن من إجراء البروفات اللازمة لي وخاصة أني أعمل مالايقل عن ٦ بروفات على اللحن الواحد فطلبت من المايسترو أحمد فؤاد حسن أن أستقل بفرقة خاصة . ورحب هو فأحضر بليغ حمدي لي فرقة عبد العظيم حفني لكن مع الأيام حدث تسيب . ولم يكن أعضاؤها يحترمون مواعيد بروفاتي . فأحضر علي الشريعي لي فرقة جمال النادي التي تتعاون معي بكل إخلاص وصدق

■ قلت : لماذا وافقت أخيراً على الغناء في ملاهي لندن ؟

قالت : لم أغن في الملاهي طول عمري . وفي لندن لم أغن في ملهى . إنما في مسرح كبير الميكرو والإمكانيات . حق الجمهور له بلكونات مثل أي مسرح . وقد وافقت أولاً لهذا السبب . ثانياً لأن صاحب هذا المسرح صديق أعرفه منذ كان يوزع أفلامي زمان

■ قلت : لماذا رفضت «النقطة» في إحدى الحفلات في القاهرة قبل سفرك ؟

قالت : لأنني تعاطيت أخرى . حاولت أن أرفض بذوق . فعملوا من النقطة عقداً من العشرينات وقلدوني به . فهززت كل حركة خفيفة ونزلت العشرينات على الأرض .

● ● ●

وهذا الموقف على بساطته يؤكد مرة أخرى أن شادية لاتجري وراء المؤلف . ولاتبحث عن المادة . إنما دائماً تفكر بما يمليه عليها الصدق مع النفس والإخلاص للفن والطموح الواعي . وكلها عوامل صنعت من شادية فعلاً .. «صوت مصر» .

□